الملتقى الوطني: أنثروبولوجيا الأديان ودراسة ثقافة المجتمع الجزائري.

المزمع عقده بتاريخ 9 ماي 2024.

من تنظيم جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية– قسنطينة.

المحور: المجالات البحثية التي تدرسها أنثروبولوجيا الأديان (النظري والتطبيقي)

عنوان المداخلة: أنثروبولوجيا الأديان: مجالات نظرية وأمثلة تطبيقية.

تقديم أ.د. منصور مرقومة، جامعة مستغانم

margoum64@gmail.com

الملخص:

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى إبراز أهم المواضيع والإشكالات التي يمكن للأنثروبولوجيا دراستها أو التي درستها سابقا سواء بالنسبة للمجتمع الجزائري أو المجتمعات الأخرى، حيث يمكننا التعرض لظواهر كالشعائر والطقوس الدينية، أو السحر كنظام وكممارسة دينية، والأساطير والأساطير المؤسسة، والرموز الدينية وتمثلاتها والممارسات المرتبطة بها، والمقدس والمدنس. يمكننا ربط ذلك، كجزء للتمثيل بأهم الرواد في هذا الجانب، وأهم الدراسات التي قدموها في هذا المجال، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: برونيسلاو مالينوفسكي من خلال دراسته السحر والعلم والدين عند الشعوب البدائية، ودراسة جيمس جورج فرايزر الغصن الذهبي الذي تطرق فيه إلى الأديان والطقوس والاحتفالات الدينية المرتبطة بها لدى كثير من الشعوب سواء في الشرق أو الغرب، ودراسة كلود ليفي ستروس الإناسة البنيانية والتي تحدث فيها عن الأساطير وارتباطاتها بالدين وأيضا دراسته الطوطم والأساطير، أو دراسته مداريات حزينة، والتي يتعرض فيها للأنظمة الاجتماعية والدينية للمجتمعات البدائية والرموز والرموز الدينية والمقدس. كما يمكننا أيضا التعرض لبعض الدراسات في الوطن العربي: دراسة عبد الغني منديب: الدين والمجتمع، ودراسة نور الدين طوالبي: الدين والطقوس، وحسن رشيق: سيدي شمهروش، ودراسة نور الدين الزاهي: الزاوية والحزب. وكثير من الدراسات الأخرى التي تدخل في إطار أكاديمي في الجزائر، خاصة أطروحات الدكتوراه حول المرجعيات الدينية، والخطاب الديني، والدين والتدين، والتنشئة الاجتماعية، والممارسات المرتبطة بالدين يمكننا التطرق إليها. كما يمكننا التطرق إلى دراسات أخرى أجريت أو يمكن إجراؤها بالنسبة للجزائر مثل أنثروبولوجيا الحج، والطقوس والممارسات المرتبطة بشهر رمضان وغيرها من عبادات وشعائر.

الكلمات المفتاحية: أنثروبولوجيا الدين، المقدس، الرموز، الطقوس، الشعائر، التدين، السحر.

مقدمة

اهتمت الدراسات الاجتماعية والإنسانية بدراسة الدين أو على الأصح بدراسة الظاهرة الدينية، على اعتبار أنها ظاهرة مرتبطة بالمجتمعات الإنسانية والجماعات البشرية. وعلى اعتبار أن جميع الشعوب والأمم في مشارق الأرض ومغاربها، وفي الحقبات الزمنية الماضية أو الحاضرة، تعاطت مع الظاهرة الدينية إذا اعتبرناها جزئا لا يتجزأ من التكوين الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي للمجتمعات، واعتبار الأديان متضمنة للظواهر الدينية على اختلاف مصادرها وأسسها ومتطلباتها، وتعدد تشريعاتها وشعائرها وطقوسها ورمزياتها وتمثلاتها. فالدين ظاهرة متعددة البنى والوظائف، فضلا على أنها مختلفة المصادر والنشوء والسيرورات، وانتهاء بتنوع الممارسات والتطبيقات والتمثلات. وعلى اعتبار ما تقدم، فإن ورقتنا هذه سوف تهتم بإبراز علاقة العلوم الاجتماعية والإنسانية بكل ذلك، مركزين على علاقة علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) بالظواهر الدينية، وبالأديان بشكل عام، من حيث الدراسة والتناول نظريا وتطبيقيا، والمواضيع والإشكاليات، والمناهج وأدوات جمع البيانات المتعلقة بهذه العلاقة، مع ذكر نماذج وأمثلة لهذه العناصر والمحاور. يمكننا تجاوز كثير من التعاريف والشروحات المستفيضة للدين أو الأنثروبولوجيا الدينية أو غيرها، خاصة وأنها تدخل في إطار محاور أخرى من هذا الملتقى، وسوف نكتفي بالأهم منها. يمكننا تجاوز كثير من الجدليات القائمة من قبيل دين أو أديان، ثقافة أو ثقافات وغيرها مما يتجاوز الصلاحيات التي سطرناها لهذه الورقة.

أولا: الدين في الأنثروبولوجيا: التعريف والأهمية.

تطرق كثير من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا إلى تعريف الدين حيث خلص بعضهم إلى القول بأنه: " منظومة متماسكة من العقائد والطقوس المتعلقة بأشياء مقدسة، أي بأشياء مفصولة، محرمة، وأن هذه العقائد والطقوس تؤلف بين قلوب أتباعها جميعا في إطار اتحاد معنوي يسمى الأمة."[1] والدين كبقية الممارسات الأخرى لا يمكن أن نفصله عن الحياة الثقافية لأي مجتمع، وعليه فقد شكل هذا الجانب جزءا مهما في الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية، باعتبار أنه لا يمكن لأي مجتمع مهما بلغت درجة بساطته أو تعقيده أن يعيش من غير دين، فهو مرتبط بجميع جوانب الحياة. وخلال ممارسة الإنسان لحياته اليومية، وقيامه بالنشاطات المختلفة المرتبطة بها، تواجهه أحداثا كثيرة ومتعددة، مرتبطة بالزراعة والصيد، وبالاحتفالات والمناسبات، وبالمرض والصحة، وبالسفر والإقامة، وبالتكنولوجيا والبساطة. وقد

[1] المستشرق جيب، وعادل العوا، علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، ط1، منشورات عويدات، بيروت، وباريس، 1977، ص 69. ذكره صلاح الدين شروخ، مدخل في علم الاجتماع، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2005، ص 88.

تحصل لديه كثير من الأمور التي يمكن تفسير بعضها، ويتعذر تفسير البعض الآخر منها، وهنا تتدخل جوانب أخرى تتمثل في أنماط مختلفة من الاعتقاد والسلوك والممارسات، يواجه بها الإنسان هذه الأحداث، ويعمل من خلالها على تجاوز ما يعرقل السير الحسن لمتطلبات الحياة لديه، ويحاول بها إحكام السيطرة على علاقته بالكون الذي يعيش فيه، وهذا ما يسميه علماء الأنثروبولوجيا بالدين[2].

وقد انصب اهتمام العلوم الاجتماعية والإنسانية وعلى رأسها الأنثروبولوجيا على دراسة هذه المكونات التي يبنى عليها الدين، وهذا نظرا للأهمية البالغة التي تليها المجتمعات لذلك، والمستمدة أساسا من أهمية الدين في حد ذاته المتمثلة في توجيه سلوك الإنسان نحو الأمور الإيجابية، والمبنية على القيم والأخلاق والتصرف السليم، زيادة على ما يوفره من ضبط اجتماعي وتنظيم ثقافي، وما يفرضه من قيود وضوابط تسير وفقها علاقات البشر في ما بينهم من جهة، ومن جهة أخرى في ما بينهم وبين القوى الغيبية المتمثلة في الإله الواحد بالنسبة للدين الإسلامي والديانات التوحيدية، والمعبودات أو الآلهة المختلفة في الديانات الأخرى. ويدخل ضمن نطاق ذلك كله، الشعائر والطقوس الدينية، وطقوس العبور أو المرور، والسحر كنظام وكممارسة دينية لدى كثير من الشعوب، والأساطير والأساطير المؤسسة، والرموز الدينية وتمثلاتها والممارسات المرتبطة بها، والمقدس والمدنس والحلال والحرام وغيرها.

يمكن اجمال ذلك في أن الدين نظام اجتماعي وثقافي يتمحور حول المعتقدات والتمثلات والأخلاق والسلوك والممارسات، ويتضمن النصوص الدينية كالكتب السماوية أو الوضعية، والأماكن المقدسة، ودور العبادات، والجماعات والتنظيمات الدينية، والنبوات، والتي تربط الإنسانية بالعناصر الميتافيزيقية الخارقة للطبيعة. في الاصطلاح الإسلامي، يُعتبر الدين الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة من خلال النصوص التي تحدد صفات تلك الذات، وتوحيدها، والقواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها، والمتمثلة في الشعائر والتوجيهات. ويحمل الدين أهمية كبيرة في حياة الأفراد والمجتمعات، حيث يوفر الهداية، والاستقامة، والراحة النفسية، والطمأنينة، ويساهم في تنظيم الحياة والعلاقات الاجتماعية، وضبط سلوكيات الناس وتوجيه تصرفاتهم بشكل إيجابي.

ثانيا: الأديان في الدراسات الأنثروبولوجية الكلاسيكية

لفتت الظاهرة الدينية انتباه العلماء والباحثين التقليديين الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية خاصة، وكتبوا فيها وأصدروا حولها مؤلفات، ومنهم من ذهب إلى التخصص فيها، ومنهم من توصل فيها

[2] لمزيد من المعلومات: عبد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني، رامتان، جدة، المملكة العربية السعودية، 1990، ص، 389-390.

إلى نظريات أسست لما عرف بالأنثروبولوجيا الدينية أو أنثروبولوجا الدين أو المقدس، حيث اعتبرت هذه الدراسات والنظريات رائدة في هذا المجال.

في تقديمه لترجمته لكتاب السحر والعلم والدين لبرونسلاو مالينوفسكي، يذكر فيليب عطية أن هذا العالم الذي هو مالينوفسكي قد سبق عشرات الرحالة والمبشرين الذين كتبوا حول المجتمعات البدائية، وذلك باعتماده في دراساته على النظرة العلمية التي كانت تنقصهم، متوصلا بذلك إلى نظريته الوظيفية الثقافية. كما يشير إلى كتابه السحر والعلم والدين والذي تناول فيه بالنقد والتحليل آراء من سبقوه في هذا الموضوع أمثال تايلر وفريزر وماريت ودوركهايم، حول السحر والدين ومكانة المعرفة العلمية، ويتطرق إلى كتاب آخر لهذا العالم يحمل عنوان "الأسطورة في السيكولوجيا البدائية" وكلها تصب في مجال المعتقد الديني كعامل للضبط الاجتماعي وتنظيم حياة الناس.[3] يدحض مالينوفسكي المزاعم القائلة بأن المجتمعات البدائية وإنسانها البدائي لا يعرف الدين، مؤكدا على أنه لا يوجد مجتمع يخلو من الدين أو السحر، مركزا على أهمية الروح العلمية وإمعان العقل في السيطرة على الطبيعة والبيئة المحيطة بهذا البدائي، وكذا الكفاءات العالية التي يتمتع بها خاصة في مجال الأخلاق والمعتقدات، والإسهامات الجماعية والفردية في السحر والدين، ويخلص إلى الحديث عن الأسطورة وعلاقتها بالجوانب النفسية والسيكولوجية والتي تذهب به إلى البحث في أصوله ونشوءه، رابطا إياها بالحياة والموت ودوراتها المتكررة، ثم يخلص في نهاية الكتاب للحديث عن عبادة الأسلاف، أو التواصل مع أرواح الأسلاف والآباء والأجداد بطقوس وممارسات خاصة بهذه المجتمعات البدائية، اعتبرت أيضا من الحياة الدينية لهذه المجتمعات.

أوغست كونت في دراساته حول تطور الفكر البشري الذي مر بثلاث مراحل أساسية هي: المرحلة اللاهوتية، والمرحلة الميتافيزيقية، والمرحلة الوضعية، يربطها بالمعتقد الديني وبالتفسير المعتمد على الغيبيات، حيث يعزى أي نشاط بشري أو طبيعي إلى اللاهوت أو الآلهة أو السحر، كما تُرد الأحداث والظواهر إلى قوى غيبية ميتافيزيقية غير مرئية، ثم المرحلة الوضعية أو مرحلة العلم أو المرحلة الإيجابية كما تسمى أيضا، والتي تعتمد على العلم في معرفة الظواهر وربطها بأسبابها وعللها. كما "يفسر كونت الدين تفسيرا سيكولوجيا، بدراسة العمليات الفكرية والإدراكية للإنسان القديم."[4]

وفي دراسته الرائدة التي تحمل عنوان الغصن الذهبي، يتحدث جيمس فرايزر عن الآلهة والكهنة والملوك وعلاقتهم بالسحر والدين، وعلاقة الظواهر الطبيعية كالمطر والشمس والرياح بالسحر، ويذكر بعض العبادات السائدة لدى بعض الشعوب والمجتمعات كعبادة النباتات وخاصة الأشجار منها، والتي يذكر أن

---

[3] برونيسلاو مالينوفسكي، السحر والعلم والدين عند الشعوب البدائية، ترجمة فيليب الخطيب، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2021. ص 16-8

[4] صلاح الدين شروخ، مدخل في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 88.

بعض بقاياها لا يزال مستمرا إلى وقتنا الحالي في أوروبا المعاصرة. كما يتحدث عن الأرواح الشريرة والأرواح الخيرة، ويربط تصرفات البشر وممارساتهم بقضايا الحلال والحرام، أو المباح والممنوع سواء في اللباس أو الأكل أو الشرب أو بعض الممارسات والعادات في وقت الحرب والسلم، ويتطرق أيضا إلى الأساطير خاصة ما ارتبط بها بالآلهة، وارتباط الآلهة بالفلاحة وتربية الحيوان، والحيوانات الآلهة التي عبدها البشر قديما لارتباطها بهذه النشاطات، كالثيران والأحصنة والخنازير، ثم أنواع القرابين التي كانت تقدم للآلهة، وارتباطها بالخير والشر الذي كان ينتقل بينها وبين البشر، واحتفالات النار أو عبادة النار وغيرها من الممارسات الطقوسية التي سادت لدى كثير من الشعوب القديمة.[5]

وكان تايلور يعتقد في وجود أساس وظيفي لتطور كل من المجتمع والظواهر الدينية، وهو يشترك في هذه النظرة مع العالم سبنسر، خاصة "بتفسير أصل نشوء الدين، اعتمادا على كون الروح أساس الاعتقاد الديني.. وأن الموت والأحلام أساس فكرة الروح."[6]

وفي كتابه "الأشكال البدائية للحياة الدينية" يعتبر دوركهايم الظاهرة الدينية هي مصدر الظواهر الاجتماعية الأخرى، فهي تتولد منها وتنبثق عنها، ويعزي أي ظاهرة اجتماعية إلى خلفية دينية. كما ركز على دراسة أهمية الطوطم في حياة الشعوب البدائية، فالنباتات والحيوانات مصدر مهم في العقيدة والدين. كما ربط في دراسة أخرى ظاهرة الانتحار ودرجة حدوثها بدرجة التدين لدى المنتحرين، وبدرجة التماسك الأسري، والروابط الاجتماعية في عائلات كاثوليكية وبروتستانتية، فقد وجد أن الظاهرة تقل في أوساط العائلات المتدينة، كما تحدث عن النسبة المتدنية من الانتحار عند المسلمين لاعتقادهم بأن الموت والحياة بيد الله سبحانه وتعالى. وقسم دوركهايم أساس المعتقدات الدينية البسيطة أو المعقدة إلى فئتين رئيسيتين وهما الأشياء المقدسة والأشياء غير المقدسة. "وتنسحب هذه السمة (أي تقسيم الأشياء الواقعية وغير الواقعية إلى مقدسة وغير مقدسة) على كافة أنواع الفكر التي تحمل طابعا دينيا، كالمعتقدات والأساطير الخرافية، والمبادئ الدوجماطيقية، والأساطير، وكافة الأنساق الفكرية التي تتجسد فيها، وتعبر من خلالها عن طبيعة الأشياء المقدسة، والفضائل والقوى الي تنتمي إليها، وعلاقة كل منها بالأخرى، وبالأشياء غير المقدسة بصفة عامة."[7]

يتحدث صاحب النظرية البنائية ليفي ستروس في كتابه حول هذه النظرية، عن السحر والدين، فالإيمان بالسحر يأخذ ثلاثة أوجه: أولها إيمان الساحر نفسه بفعالية التقنيات التي يعتمدها والأفعال التي يقوم بها في جانب الضر والنفع، في جانب الصحة والمرض، وفي جانب الخير والشر، وثانيها إيمان المريض

---

[5] للتفاصيل: جيمس جورج فرايزر، الغصن الذهبي، ترجمة نايف الخوص، دار الفرقد، دمشق، سورية، 2014.
[6] صلاح الدين شروخ، المرجع نفسه، ص 88-89.
[7] عبد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني، مرجع سابق، ص 101-102.

الذي يعالجه الساحر أو يمارس عليه طقوسا سحرية، بالقدرات الخارقة التي يمتلكها هذا الساحر، وثالثها ثقة الرأي العام ومتطلباته والتي تشكل حقلا من حقول الجاذبية بين الساحر ومجتمعه، واتصاله بالعوالم الغيبية والقوى غير المرئية. ثم يستطرد في الحديث عن الكهان ورجالات الدين، وطرق تعاملهم مع المرضى والمسحورين في مشاهد استعراضية علنية يحضرها غالبية السكان. وتشكل هذه الأفعال والطقوس والممارسات لدى المجتمعات، نظاما كليا مرتبطا بنمط التفكير الديني وبالحياة الدينية.[8] كما تحدث ليفي ستروس مطولا عن الطقوس والممارسات الدينية، والحياة والموت، وتحضير وعبادة الأرواح وتناسخها.[9]

وشكل السحر في مصر القديمة أساسا في تكوين المعتقدات البشرية القديمة وبناءها الثقافي وبناءها الروحي والفكري. ويتحدث "واليس بدج" في كتابه السحر في مصر القديمة عن تاريخ الممارسات السحرية التي يعتبرها من أقدم الممارسات لدى الشعوب، فالآلهة والصور والوصفات والتعويذات السحرية والطقوس المرتبطة بها، كلها مرتبطة بالمعتقد الديني وبالممارسة الدينية أو بالأحرى بالظاهرة الدينية.[10]

وإذ نكتفي بهذه الدراسات والمراجع في هذا الباب، فليس من جانب الاستثناء لدراسات أخرى مهمة، ولكن من جانب التمثيل ليس إلا، فدراسات "إيفانس بريتشارد" ومحاضراته حول الدين والسحر والعلم لدى قبائل النوير، ودراسات "جاك بيرك" حول الإسلام[11]، وأبحاث كل من "كليفورد غيرتز"، و"إرنست غيلنر" حول الدين في المجتمعات المغاربية، خاصة في جانب القداسة والتصوف والبركة والسلفية وغيرها.[12] ودراسة ريمون جاموس، شرف وبركة[13]،

ثالثا: الأديان في الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة

لا تزال العلوم الاجتماعية والأنثروبولوجية تولي الاهتمام البالغ لدراسة الدين ودراسة الظواهر الدينية، فعلى غرار الدراسات الكلاسيكية السابقة، تتواصل الدراسات المعاصرة في هذا المجال، وهي أيضا

---

[8] كلود ليفي ستروس، الإناسة البنيانية، ترجمة حسن قبيسي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 1995، ص 181-202. والإناسة البنيانية القسم الثاني، ترجمة حسن قبيسي، دار الإنماء القومي، لبنان، 1990. ص183-194.

[9]كلود ليفي ستروس، مداريات حزينة، ترجمة محمد صبح، ط1، دار كنعان، دمشق، سورية، 2000، ص 300-317.

[10] واليس بدج، السحر في مصر القديمة، ترجمة عبد الهادي عبد الرحمن، ط1، سينا للنشر، مصر، الانتشار العربي، لبنان، 1998.

[11] زيادة على الدراسات الفردية، نسق جاك بيرك دراسات جماعية ضمنها كتاب صدر باللغة الفرنسية يحمل عنوان: Normes et valeurs dans l'islam contemporain, Payot, Paris, 1966.

[12] لمزيد من التفاصيل: ADDI Lahouari, Deux anthropologues aux Maghreb : Ernrst Gellner et Clifford Geertz, Archives contemporaines, 2013.

وأيضا: محمد حبيدة (تنسيق)، الأنثروبولوجيا من البنيوية إلى التأويلية، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014.

[13] RAYMOND Jamous, Honneur et Baraka, les structures sociales traditionnelles dans le Rif, Éditions de la Maison des sciences de l'homme, Cambridge University Press, Paris, 1981.

كثيرة ومتعددة، وجاءت اهتماماتها متنوعة بتنوع الظواهر وما يترتب عنها من نتائج تنعكس على ممارسات الأفراد والجماعات وتتكون في أذهانهم بالتمثلات والرموز. وسوف نذكر بعضا منها، على سبيل المثال لا الحصر، خاصة العربية والمحلية.

دراسة عبد الغني منديب والتي جاءت في كتاب يحمل عنوان: "الدين والمجتمع: دراسة سوسيولوجية للتدين في المغرب" والذي يبين من خلاله كيف تؤثر الظروف الاجتماعية والثقافية في سلوك الأفراد وكيف تنعكس على ممارساتهم الدينية، مركزا فيه على التمثلات الدينية والممارسات والطقوس المرتبطة بها والتحولات الدينية الناتجة عنها، خاصة في مجال تفاعلاتها مع السلطة في المجتمع المغربي. ودراسة نور الدين طوالبي حول الهوية والثقافة والدين والتغير الاجتماعي، التي جاءت في كتابه المعنون ب: "الدين والطقوس والتغيرات[14]، حيث ركز فيه على التيارات الإسلامية المعاصرة، والشعائر الدينية، والمقدس، والاعتقادات والممارسات، وبعض الاحتفالات والرموز. ودراسة عبد الله الحمودي بعنوان: الضحية وأقنعتها[15]، حيث يركز فيه على إثنوغرافيا العيد، وعلى الأضحية التي تقدم في يوم عيد الأضحى في البلدان المغاربية والعربية الإسلامية، ويتحدث فيه على ما يطلق عليه بالمسخرة، وهي الاحتفالات المصاحبة لهذه الظاهرة والتي تتضمن الألعاب المختلفة والطقوس والأساطير المحيطة بها، حيث يصفها بالأنساق الطقوسية البالغة التعقيد والممتدة عبر التاريخ الإسلامي.

دراسة عبد الرحيم العطري المعنونة ب: أنثروبولوجيا الحج الإسلامي من التجربة الدينية إلى النقد المنفتح[16]، وهي دراسة يصف فيها المؤلف شعيرة الحج من خلال ثلاث مراحل أساسية، تبدأ بالتفكير في الحج والاستعداد له، ثم ممارسة هذه الشعيرة، ثم تحليل لما أسماه بجوارات النص الحجي، حيث يصف المؤلف الحج ممارسة وفعلا بالمشاركة في هذه التجربة، ومحطات الحج وأركانه كالطواف وغيرها، ويخلص إلى ذكر التسوق واللباس وغيرها مما يرتبط بهذه الشعيرة. ودراسة حسن رشيق الموسومة ب: سيدي شمهروش، الطقوسي والساسي بالأطلس الكبير[17]، يتحدث فيه الكاتب عن الولي الصالح الذي يربطه بالجن، ثم الخدمات والممارسات الطقوسية التي تدور حوله، والنزاعات الاجتماعية بين جماعات المصالح، حيث يربطها ببعض ممارسات الفلاحة وخدمة الأرض، وتقديم الأضاحي للولي، والسلطة الاجتماعية والدينية وعلاقتها بالسلطة السياسية. ودراسة الزاوية والحزب، لصاحبها نور الدين الزاهي[18]، يتطرق فيه إلى النخب السياسية والوطنية وعلاقتها بكل من الاستعمار والسلطان والزوايا، وبالحقل السياسي والديني والمقدس بشكل عام.

---

[14] نور الدين طوالبي، الدين والطقوس والتغيرات، ترجمة وجيه البعيني، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، عويدات بيروت، 1988.

[15] عبد الله الحمودي، الضحية وأقنعتها، بحث في الذبيحة والمسخرة في بلاد المغارب، ترجمة عبد الكريم الشرقاوي، دار توبقال، 2010.

[16] عبد الرحيم العطري، أنثروبولوجيا الحج، من التجربة الدينية إلى النقد المنفتح، منشورات باب الحكمة، تطوان، المغرب، 2021.

[17] حسن رشيق، سيدي شمهروش، الطقوسي والسياسي في الأطلس الكبير، ترجمة عبد المجيد جحفة ومصطفى النحال، إفريقيا الشرق، المغرب، 2010.

[18] نور الدين الزاهي، الزاوية والحزب، الإسلام والسياسة في المجتمع المغربي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2011.

وهناك دراسات متعددة حول الطرقية والتصوف والحركات الإصلاحية وغيرها نذكر منها على سبيل المثال: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر[19]، لصلاح مؤيد العقبي، والتي تتطرق إلى الطرق الصوفية في الجزائر وانتشارها المجالي الجغرافي وعلاقتها بالزوايا، مرورا بتاريخ نشأتها ونشاطاتها والأدوار التي تقوم بها، اجتماعيا وسياسيا وثقافيا. ثم دراسة محمد إبراهيم صالحي حول الأخويات الدينية في الجزائر، الطريقة الرحمانية[20]، حيث يبين دور هذه الطريقة وشيخها "الشيخ الحداد" ومريديها، في انتفاضة القبائل ضد الاستعمار الفرنسي في سنة 1871، والحركة الإصلاحية التي انطوت عليها، والدور الديني والثقافي الذي قامت به في المجتمع الجزائري. ودراسة "المرابطية والإخوانيات الدينية المسلمة في الجزائر"[21]، الذي تعرض فيه الكاتب إلى الطرق الصوفية كالقادرية والرحمانية والتيجانية وغيرها.

ثم تعددت الدراسات خاصة التي تناولت الإسلام السياسي، وهي دراسات يدخل جلها ضمن رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه بشكل عام، والتي اهتمت بإبراز الدور الذي لعبته الحركات السياسية الدينية في المجال السياسي وعلاقتها بالأحزاب السياسية وبالسلطة والمجتمع، وآليات اشتغالها، والصراعات الداخلية والخارجية التي ميزت بعضها. كما ركزت على المرجعيات الدينية، وعلى الخطاب الديني، وبعض الممارسات والتمثلات للحياة السياسية، وللفكر الديني الإصلاحي أو المتطرف، وقضايا الإرهاب وغيرها، لا يسعنا المجال للتفصيل فيها.

كما صدر عدد من المقالات العلمية في مجالي علم الاجتماع الديني وأنثروبولوجيا الدين في عدد من المجلات الأكاديمية، منها مقال بعنوان: الإسلاميون في تونس وقضايا المرأة[22]، والإسلاميون في تونس وتحديات البناء السياسي والاقتصادي للدولة[23]، وصدر عن مجلة عمران عدد خاص بموضوع الدين والتدين، تحت عنوان: تغير أنماط التدين في الوطن العربي، تناول مواضيع التدين واللباس والإسلام الطرقي، والوالي والولي، والشباب ومظاهر التدين، والدولة والمساجد...[24].

---

[19]صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002.

[20] Brahim Salhi Mohamed, Etude d'une confrérie religieuse en Algérie, La Rahmaniya: à la fin du XIXe siècle et la première moitié du XXe siècle, éditions Bouchène, 2021.

[21] Commandant Jacques Carret, Le maraboutisme et les confréries religieuses musulmanes en Algérie, éd. Héritage, Paris.

[22]حمادي ذويب، الإسلاميون في تونس وقضايا المرأة، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، يصدرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، العدد4، المجلد1، ربيع 2013، ص 137-154.

[23]أنور الجمعاوي، الإسلاميون في تونس وتحديات البناء السياسي والاقتصادي للدولة، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، يصدرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، العدد4، المجلد1، ربيع 2013، ص 155-180.

[24]مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، يصدرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، العدد6، المجلد1، خريف 2012، ص 155-180.

وعلى العموم فإن مثل هذه الدراسات يمكن أن تطور ويوجه اهتمامها في الجزائر خاصة إلى التطرق لبعض الشعائر الدينية، كشعيرة الحج، والطقوس والممارسات المرتبطة بشهر رمضان، والتكافل الاجتماعي ذو الخلفيات الدينية، وقضايا الجيرة والقرابة التي تدخل ضمن اهتمامات الدين، وغيرها من عبادات وشعائر وممارسات، كما يمكن التطرق إلى ظواهر اجتماعية وأنثروبولوجيا أخرى كالسحر والشعوذة، والآداب والفنون المرتبطة بالدين كالمدائح الدينية، والمسرح الهادف الذي يهتم بالشخصيات الإسلامية التاريخية منها والمعاصرة، وبالقيم والمعايير.

خاتمة وإشارات منهجية

من الملاحظ حسب تجربتنا المتواضعة فإن الدراسات في هذا الباب متعددة خاصة التي تناولت المغرب الأقصى بدرجة كبيرة وبقية دول المغرب العربي بدرجات متفاوتة، حيث اهتمت في بادئ الأمر بالتدين الشعبي الذي يمارس على مستوى القاعدة الشعبية، وحول أضرحة الأولياء والصالحين، وحول الزوايا والطرقية والتصوف، وبعض الشعائر الدينية والطقوس والممارسات. ثم انتقلت الدراسات في فترة متأخرة من عصرنا إلى الاهتمام بالسياسة والدين أو ما يسمى بالإسلام الديني، خاصة في ظل ظهور الحركات الدينية والسياسية، ونشأة الأحزاب الدينية الناشطة في هذا المجال. أرخت بعض الدراسات للظاهرة الدينية، ووضعتها في سياقها التاريخي والظرفي، حيث اهتم بعضها بالحقبات التاريخية القديمة، كالفترة الفرعونية في مصر القديمة، كما تطرق عدد منها إلى فترات تاريخية متأخرة وصلت إلى عهدنا الحالي. كثير من الدراسات تناولت شعوبا غير عربية، واعتبرت أساسا لنشأة أنثروبولوجيا الأديان، خاصة الكلاسيكية منها، وتعرض بعضها الآخر إلى الوطن العربي، وهي الدراسات التي حاولنا التطرق إليها والتركيز عليها.

إن بعض الدراسات المشار إليها سالفا، أو حتى التي لم نتمكن من الحديث عنها، قد اهتمت بدراسة المجتمعات العربية وبخاصة المغاربية منها، معتمدة على الدراسات الحقلية الإمبريقية، وعلى التحقيقات الميدانية، واستعمال الملاحظة البسيطة والملاحظة بالمشاركة، والمقابلات الإثنوغرافية والأنثروبولوجية، من أجل جمع المعطيات المطلوبة لفهم الظواهر، وما وراء الطقوس والممارسات، وما تقصده الأقوال والأفعال. وإذ نصل على ختام هذه المحاولة فإننا لا ندعي بأننا قد أحطنا بجميع عناصر الموضوع، أو تطرقنا إلى جميع ما كتب فيه، بل كانت محاولتنا أن نسلط الضوء على بعض من هذه الدراسات واعتبارها نموذجا ومثالا في هذا المجال، ويبقى الباب مفتوحا لمزيد من التفصيل والتنقيب،

خاصة أمام المختصين في هذا الحقل والراغبين في الاستزادة والتوضيح، من خلال ذلك نتمنى أننا وضعنا بعض الشذرات التي تعطي القارئ والباحث فكرة ولو بسيطة عن حقل أنثروبولوجيا الأديان ودراسة الظواهر الدينية، وتوجيه مساعيهم في ذلك.

قائمة المراجع

1. أنور الجمعاوي، الإسلاميون في تونس وتحديات البناء السياسي والاقتصادي للدولة، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، يصدرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، العدد4، المجلد1، ربيع 2013، ص 155-180.
2. برونيسلاو مالينوفسكي، السحر والعلم والدين عند الشعوب البدائية، ترجمة فيليب الخطيب، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2021.
3. جيمس جورج فرايزر، الغصن الذهبي، ترجمة نايف الخوص، دار الفرقد، دمشق، سورية، 2014.
4. حسن رشيق، سيدي شمهروش، الطقوسي والسياسي في الأطلس الكبير، ترجمة عبد المجيد جحفة ومصطفى النحال، إفريقيا الشرق، المغرب، 2010.
5. حمادي ذويب، الإسلاميون في تونس وقضايا المرأة، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، يصدرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، العدد4، المجلد1، ربيع 2013، ص 137-154.
6. صلاح الدين شروخ، مدخل في علم الاجتماع، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2005.
7. صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002.
8. عبد الرحيم العطري، أنثروبولوجيا الحج، من التجربة الدينية إلى النقد المنفتح، منشورات باب الحكمة، تطوان، المغرب، 2021.
9. عبد الله الحمودي، الضحية وأقنعتها، بحث في الذبيحة والمسخرة في بلاد المغارب، ترجمة عبد الكريم الشرقاوي، دار توبقال، 2010.
10. عبد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني، رامتان، جدة، المملكة العربية السعودية، 1990.
11. كلود ليفي ستروس، الإناسة البنيانية القسم الثاني، ترجمة حسن قبيسي، دار الإنماء القومي، لبنان، 1990.
12. كلود ليفي ستروس، الإناسة البنيانية، ترجمة حسن قبيسي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 1995.
13. كلود ليفي ستروس، مداريات حزينة، ترجمة محمد صبح، ط1، دار كنعان، دمشق، سورية، 2000.

14. محمد حبيدة (تنسيق)، الأنثروبولوجيا من البنيوية إلى التأويلية، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014.
15. المستشرق جيب، وعادل العوا، علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، ط1، منشورات عويدات، بيروت، وباريس، 1977.
16. نور الدين الزاهي، الزاوية والحزب، الإسلام والسياسة في المجتمع المغربي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2011.
17. نور الدين طوالبي، الدين والطقوس والتغيرات، ترجمة وجيه البعيني، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، عويدات بيروت، 1988.
18. واليس بدج، السحر في مصر القديمة، ترجمة عبد الهادي عبد الرحمن، ط1، سينا للنشر، مصر، الانتشار العربي، لبنان، 1998.

19. ADDI Lahouari, Deux anthropologues aux Maghreb : Ernrst Gellner et Clifford Geertz, Archives contemporaines, Paris 2013.
20. BERQUE Jacques et All., Normes et valeurs dans l'islam contemporain, Payot, Paris, 1966.
21. BRAHIM SALHI Mohamed, Etude d'une confrérie religieuse en Algérie, La Rahmaniya: à la fin du XIXe siècle et la première moitié du XXe siècle, éditions Bouchène, 2021.
22. CARRET Jacques, Le maraboutisme et les confréries religieuses musulmanes en Algérie, éd. Héritage, Paris.
23. RAYMOND Jamous, Honneur et Baraka, les structures sociales traditionnelles dans le Rif, Éditions de la Maison des sciences de l'homme, Cambridge University Press, Paris, 1981.